



واقعة وادي المخازن ١٥٧٨

Battle of Oued al-Makhazin ( 1578)

أ.م.د. سمير عبد الرسول العبيدي

Asst. Prof. Dr. Sameer `Abidalrasoul Al-`Abeidi



واقعة وادي المخازن ١٥٧٨  
Battle of Oued al-Makhazin ( 1578)

أ.م.د. سمير عبد الرسول العبيدي  
الجامعة المستنصرية / مركز المستنصرية للدراسات  
العربية والدولية / قسم الدراسات التاريخية

Asst. Prof. Dr. Sameer `Abidalrasoul Al-`Abeidi  
University of Al-Mustansiriya / Al-Mustansiriya Centre  
for International and Arabic Studies / Department of  
Historical Studies

dr. saa2004@yahoo. com

تاريخ الاستلام: ٢٥/٦/٢٠١٩  
تاريخ القبول: ١٧/٩/٢٠١٩

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي  
Turnitin - passed research

## ملخص البحث:

شهد المغرب الأقصى في ٤ آب ١٥٧٨، حدثاً مهماً للغاية في تاريخه، إلا وهو معركة وادي المخازن، بين الجيش السعودي والقوات الغازية بقيادة الملك البرتغالي سيباستيان الاول، وقد سبقت المعركة ورافقها أحداث على درجة كبيرة من الأهمية، زاد منها النصر الكبير الذي حققه السعوديون لأسباب مختلفة، أدت بالنتيجة إلى دفع الاحتلال الأوروبي عنه حتى العام ١٩١٢.

الكلمات المفتاحية: وادي المخازن، معركة، سيباستيان الأول، السعوديون

### Abstract

On August 4, 1578, Morocco witnessed the most important event in its history, the Battle of the Valley of the almakhazin , between the Saadi army and the invading forces led by the Portuguese King, SebastainI. The battle was preceded and accompanied by events of great importance. Then it resulted in the European occupation to be pushed back in 1912.

**Key Words: Valley of the almakhazin, Battle, Sebastain I, Sadids**

## المقدمة

شهد المغرب الأقصى على مر تاريخه، أحداثاً مهمة، كان العامل المؤثر فيها، هو الموقع الجغرافي، إذ لا يفصله عن بلدان أوروبا سوى مضيق جبل طارق أو (بحر الزقاق)، الذي لا يتجاوز عرضه ١٤ كم، لذا كانت العلاقات التاريخية متينة بين طرفي المضيق، وعلى مختلف الصُّعد.

لقد تحكمت عوامل ذات طبيعة تاريخية بتطور العلاقة، محددة أطرها العامة، ويبرز هنا الحكم العربي الإسلامي في الأندلس (٧١١-١٤٩٢م)، الذي أسهم سكان المغرب العربي عامةً، والمغرب الأقصى خاصة، في نشأته، وتأثروا بمراحله كافة من الصعود الى الانهيار، فكان هناك كروفر، مع حكام الدولتين الأيبيريتين اسبانيا والبرتغال.

لذا في المراحل الأخيرة للوجود العربي في الأندلس سعت الدولتان الى نقل الحرب إلى «العدوة المغربية»، في مسعى لمنع المغاربة من تقديم العون لإخوتهم الذين عانوا من الاضطهاد الديني من الحكام المتعاقبين بتحريض ودعم من الكنيسة الكاثوليكية، وظهرت الرغبة في منع العثمانيين من التحالف مع القوى المحلية، عبر السيطرة على الموانئ المغربية المطلة على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، ومن ثم تهديد حركة الملاحة والموانئ الأوروبية.

افتتحت البرتغال هذه الحملة الأوروبية المضادة عام ١٤١٥م، باحتلالها لميناء سبتة في المغرب الأقصى، ثم حاولت توسيع احتلالها لكنها أخفقت ومع تراجع الاهتمام بالمغرب الأقصى لمصلحة جبهات أخرى أكثر نفعاً من الناحية الاقتصادية، كأفريقيا جنوب الصحراء والعالم الجديد، لكن حاول الملك سيباستيان (١٥٥٧-١٥٧٨م) إعادة الأجداد السابقة لبلده، بدافع التعصب والتهور، فكانت الهزيمة

الساحقة بواقعة وادي المخازن عام ١٥٧٨ م، نهاية تاريخية مريرة لهذه الطموحات التوسعية، ومن هنا تبرز أهمية دراسة هذا الموضوع.

تكون البحث من تمهيد تاريخي مقتضب سعى الى دراسة تلك المرحلة التاريخية التي شهدت صعود السعديين بالتفاف الناس حولهم بسبب نسبهم الشريف وتبنيهم لحركة الجهاد إبان المرحلة (١٥٣٩-١٥٥٤م)، ما تكلل بنجاحهم في تأسيس دولتهم إثر انتصارات محمد الشيخ (١٥٣٩-١٥٥٧م) على حساب الوطاسيين (١٤٧١-١٥٥٤م)، ثم دراسة موجزة لعهد عبد الله الغالب (١٥٥٧-١٥٧٤م)، الذي تميز بالصراع الداخلي على الحكم، كذلك ظهور الدولة العثمانية عاملاً مؤثراً في الأحداث السياسية.

درس المبحث الأول (بدايات الصراع السعودي- البرتغالي ١٥٧٤-١٥٧٨م) الخلاف بين محمد المتوكل وعميه عبد الملك واحمد أبو العباس، الذي تحول إلى حرب داخلية بين أفراد الأسرة السعدية من أجل الوصول للحكم، وموقف العثمانيين والقوى الأوروبية منه، ثم انتصار عبد الملك وهزيمة محمد المتوكل، الذي صمم على الرجوع لسدة الحكم بدعم من الملك البرتغالي المتعصب.

تطرق المبحث الثاني إلى سير العمليات العسكرية في المدة (٢٥ حزيران-٤ آب ١٥٧٨م)، بدءاً من التحضير للحملة أي عدد القوات وطبيعتها لدى الطرفين، ثم خط سيرها حتى وصولها لساحة القتال، ثم دراسة مجريات الواقعة، مع شرح أسباب وتفصيل النصر الكبير للسعديين، وحيثيات الهزيمة النكراء التي لحقت بالغزاة.

أما المبحث الثالث فسعى إلى دراسة نتائج الواقعة التي كانت على درجة عالية من الأهمية على الأطراف المشاركة فيها جميعها، فواقعة وادي المخازن التي جرت في ٤ آب ١٥٧٨م، من الوقائع الفاصلة ليس في تاريخ المغرب الأقصى فحسب، بل في التاريخ الأوربي والعربي الإسلامي بالإجمال.

## تمهيد

يشغل المغرب الأقصى أهمية استثنائية بين بلدان المغرب العربي لكونه اقرب المناطق إلى أوروبا، فلا يفصله عن اسبانيا إلا مضيق جبل طارق، لذا يمكن القول إن الموقع الجغرافي كان له التأثير الأبرز في تاريخ هذا البلد العربي؛ كما لم يكن المغرب الأقصى في أوائل القرن السادس عشر منضوياً تحت حكم كيان سياسي واحد بل كان منقسماً الى كيانات مختلفة، من أبرزها الوطاسيون (١٤٧١-١٥٥٤م)<sup>(١)</sup>.

كان ضعف السلطة الوطاسية في فاس، نتيجة للصراعات الداخلية والأطباع الأوروبية، السبب المباشر في تنامي نفوذ الأشراف السعديين<sup>(٢)</sup>، مجاهدين لهم شعبية واسعة في المغرب الأقصى بسبب نسبهم الشريف و تبنيتهم لدعوة الجهاد ضد الاستعمار البرتغالي للساحل المغربي على المحيط الأطلسي (١٤١٥-١٧٦٩م)<sup>(٣)</sup>، كذلك أسست هذه القوة الناشئة جيشاً برياً على عكس المجاهدين البحريين الذي امتلكوا سفن تجوب البحار وتهاجم الأعداء بأسلوب الكر والفر، - إذ ظهروا باديء الأمر في إقليم السوس في الجنوب بحكم كونه الإقليم الذي حاول الإسبان والبرتغاليون احتلال موائنه.

لقد نجحت القيادة الجديدة في توحيد جهود السكان في جنوب المغرب الأقصى من أجل محاربة الاستعمار الأوروبي، واستطاعت مد سلطتها على القبائل المحلية، فأضحت محط الأنظار في التصدي للمستعمرين والجهاد للحفاظ على استقلال المغرب الأقصى وهويته العربية الإسلامية<sup>(٤)</sup>.

ترزعم هذه الدعوة أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله السعدي (١٥٠٩-١٥١٧م)، الذي تبنى دعوة الجهاد ضد البرتغاليين، ساعده بذلك انشغالهم بحركة الاستكشافات

الجغرافية في العالم الجديد، الأمر الذي مكن السعديين إلى حد كبير من النجاح في جهودهم لتحرير بلادهم من البرتغاليين، ما اتضح بجلاء لدى تولى ابنه أبو العباس أحمد (١٥١٧-١٥٣٩م) الحكم، وبمساعدة من شقيقه، ثم خليفته في السلطة محمد الشيخ (١٥٣٩-١٥٥٧م)<sup>(٥)</sup> الذي نجح في المدة (١٥٤١-١٥٥٠م) من تحرير عدد كبير من الموانئ المغربية المحتلة، فاستعاد موانئ أغادير وآسفي وأزمور عام ١٥٤١، وأصيلة عام ١٥٤٩، ثم القصر الصغير عام ١٥٥٠<sup>(٦)</sup>.

رافق ذلك سعي السعديين من اجل توطيد دعائم حكمهم الناشئ، مستفيدين من حالة عدم الاستقرار السياسي والعسكري في المغرب الأقصى، ثم تنامي شعبيتهم بين أوساط السكان نتيجة لجهودهم الحثيثة وتبنيهم دعوة الجهاد، وحملهم السلاح ضد المحتلين البرتغاليين، لذا فإثر دخول مراكش عام ١٥٢٥م، شرعوا بالعمل للقضاء بشكل نهائي على الحكم الوطاسي المتداعي، ليتوجوا جهودهم بدخول مدينة فاس عاصمة الوطاسيين عام ١٥٤٩م، لكن العثمانيين تدخلوا عسكرياً، ما أدى إلى هزيمتهم، وإعادة الحكم الوطاسي، بسبب خشيتهم من تداعيات النزعة المستقلة للسلطان السعدي، وفي ٨ كانون الثاني ١٥٥٤م نجحوا بدخول فاس وأعادوا الحكم الوطاسي بقوة السلاح، غير أنهم لم يحسنوا التعامل بعد ذلك، إذ أساءوا التعامل مع السكان بشدة، إذ تعاملوا معهم تعامل الفاتحين الجدد، ليتنهر محمد الشيخ تلك الفرصة السانحة من اجل استعادة زمام المبادرة، وهاجم المدينة مرة أخرى، ونجح في استعادتها بتاريخ ٢٣ أيلول ١٥٥٤م، منهيًا بذلك الحكم الوطاسي<sup>(٧)</sup>، وأصبحت فاس عاصمة الدولة الجديدة، لبدأ حكم السعديين (١٥٥٤-١٦٥٩م) في المغرب الأقصى<sup>(٨)</sup>.

أدرك محمد الشيخ أنه غير قادر على تحدي العثمانيين والصمود أمامهم بالاعتماد على إمكاناته الذاتية، لهذا أرسل إلى الإسبان والبرتغاليين بطلب الدعم، من دون جدوى تُذكر، كذلك أدت النزعة الاستقلالية، ورفضه التام حتى لمجرد الاعتراف الضمني بسيطرة الدولة العثمانية (الخطبة والدعاء)، إلى قيامهم بتدبير مؤامرة لقتله، فاغتيل بتاريخ ٢٣ أيلول ١٥٥٧م<sup>(٩)</sup>.

إن اغتيال محمد الشيخ يؤكد طموح العثمانيين الجاد لضم المغرب الأقصى، من أجل استكمال سيطرتهم على المغرب العربي، وإلا بماذا نفسر تلك الحشود البحرية والبرية لمهاجمته في حين كانت تونس وبعض موانئ الجزائر تعانين من وطأة الاحتلال الإسباني (١٥٠٥-١٧٩٢م) والقوى المحلية المتعاونة معهم، فيما حلت الفوضى والاضطرابات بالمغرب عقب الاغتيال فأصبحت الفرصة سانحة أمامهم لاحتلاله<sup>(١٠)</sup>، إذ صدرت الأوامر إلى والي الجزائر حسن بن خير الدين (١٥٥٧-١٥٦١م) للزحف باتجاهه.

في أثناء ذلك تولى الحكم في المغرب الأقصى ابن السلطان القليل أبو محمد عبدالله الغالب بالله (١٥٥٧-١٥٧٤م)<sup>(١١)</sup>، الذي استمر توتر العلاقات مع العثمانيين في عهده، ومع سعيه لإتباع سياسة التهدئة مع إسبانيا والبرتغال، والسعي لتوسيعها، فقد قام العثمانيون بحملة في نيسان ١٥٥٨م، انطلقت من الجزائر، والتي نجح بدحرها في معركة وادي اللين شمال فاس، تلك التي أنهت آمال العثمانيين بضم المغرب الأقصى.

أدرك عبدالله الغالب وضمن الظروف والإمكانات المتاحة له، استحالة طرد الإسبان والبرتغاليين من الموانئ المحتلة، فسعى تحت ضغط العثمانيين، إلى التهدئة بالاتجاه الذي يمنع مزيدا من التوسع الأوروبي، وذلك ما كان سيرغمه على الدخول في صراع لا تحمد عواقبه.

إن إخفاق العثمانيين في ضم المغرب عسكرياً دفعهم إلى العمل السياسي ومحاولة زعزعة المؤسسة الحاكمة بإدخالها في صراعات داخلية، وسنحت الفرصة لذلك مع لجوء ثلاثة من أشقاء السلطان ( عبد المؤمن، وعبد الملك، وأبو العباس أحمد)، إلى الجزائر في عام ١٥٥٧م ثم اسطنبول، هرباً من بطش شقيقهم، نتيجة لرفضهم البيعة له، فاتصل عبد الملك بالسلطان سليم الثالث (١٥٦٦-١٥٧٤م)، الذي بادر إلى قبول دعوته، و إعلان الوصاية على الحكم بعد مقتل السلطان محمد الشيخ، داعماً مطالب عبد الملك في الحكم، ومن هنا بدأ التدخل العثماني في شؤون المغرب الأقصى من خلال رعاية ومساندة أبناء السلطان محمد الشيخ وتقديم أنواع المساعدات المتاحة لهم جميعها<sup>(١٢)</sup>.

### المبحث الأول: بدايات الصراع السعودي - البرتغالي (١٥٧٤-١٥٧٨م).

المرحلة الأولى: الحرب الداخلية على الحكم (٢٢ كانون الثاني ١٥٧٤-٣١ آذار ١٥٧٦م).

بعد وفاة عبدالله الغالب في ٢٢ كانون الثاني ١٥٧٤، بويع ابنه أبو عبدالله محمد المتوكل (١٥٧٤-١٥٧٦م)<sup>(١٣)</sup>، الذي لم تشهد مدة حكمه القصيرة أية أحداث مهمة، باستثناء تصاعد وتيرة الصراع مع أعمامه اللاجئين لدى العثمانيين، ما أدى في النهاية إلى الإطاحة بحكمه، والظروف التي أفضت إلى ذلك لها أهميتها القصوى فيما يتعلق بتاريخ المغرب الأقصى وعلاقاته سواء مع الدولة العثمانية أو اسبانيا والبرتغال<sup>(١٤)</sup>.

كان الصراع بين العثمانيين والسعديين يتأثر تأثراً مباشراً بأحداث البحر المتوسط، فقد أحبطت هزيمة العثمانيين في واقعة ليبانتو Lepanto البحرية بتاريخ ٧ تشرين الأول ١٥٧١م، أمام التحالف الأوروبي الذي ضم بالأساس الجمهوريات الإيطالية والبابوية والإمبراطورية الرومانية المقدسة، جميع خططهم لضم المغرب

الأقصى إلى دولتهم، وفي شباط ١٥٧٢م نجح الجواسيس السعديين من اغتيال عبد المؤمن أحد الأشقاء الثلاثة المرشحين لشغل عرش السعديين، فسارع شقيقه عبد الملك للسفر إلى اسطنبول لمطالبة بحقوقه في الحكم من السلطان العثماني، الذي أقره على ذلك، بدلاً من شقيقه المغتال، لكن نجاح الإسبان في إعادة احتلال إيالة تونس من العثمانيين، في حزيران ١٥٧٣م، وجه اهتمام سليم الثاني نحوها بالتحديد.

لذا صمم العثمانيون على استعادة هيبتهم بعد هزائمهم المتلاحقة، فقرروا البدء بذلك من طريق استعادة تونس من الأسبان وفي ١٣ تموز ١٥٧٤م ظهر الأسطول العثماني بقيادة سنان باشا (١٥٠٦-١٥٩٣م)، أمام مدينة تونس وبدأ بمحاصرتها، وكان يضم من (٢٥٠-٣٠٠) سفينة تحمل نحو (٧٠٠٠٠) جندي، وبعد معارك ضارية نجحوا باستعادة تونس، ليتم ضمها نهائياً إلى الدولة العثمانية<sup>(١٥)</sup>.

استغل عبد الملك وشقيقه أبو العباس أحمد الفرصة السانحة لإدراك مطالبها، فطلب أن يعمل هو وشقيقه تحت إمرة البحرية العثمانية في الجزائر التي انطلقت منها الحملة العسكرية لتحرير تونس من الاحتلال الإسباني، إذ أدركا أن سليم الثاني لن يغامر بفتح جبهة جديدة في المغرب العربي قبل أن يحسم المعركة في تونس.

وقد كان لهما ما أراداه، وحينما انتصرت الحملة العثمانية، كان عبد الملك أول مبشر للسلطان العثماني بالنصر الكبير، إذ سبقت السفينة التي استقلها من تونس إلى اسطنبول، السفن الأخرى، وكانت هذه البشري هي المفتاح الذي فتح الباب على مصراعيه لمساعدة السلطان العثماني لعبد الملك بالهجوم على المغرب الأقصى وإزاحة ابن شقيقه وارتقاء الحكم<sup>(١٦)</sup>.

لقد ساعد على رجوع العثمانيين إلى سياستهم السابقة ثلاثة عوامل، هي:

١. طبيعة السلطان السعدي محمد المتوكل.
٢. استمرار حضور المناوئين لسلطانه والمؤهلين أكثر منه لتولي الحكم وهما عمه عبد الملك في اسطنبول، وأبو العباس احمد في الجزائر.
٣. قدرة العثمانيين على استعادة قوتهم، وبناء أسطول كبير، في مدة زمنية وجيزة، من أجل محو آثار هزيمة ليبانتو.

كان محمد المتوكل فظاً ظالماً مستبداً فكرهه شعبه، وواصل سياسة المهادنة للقوى الأوروبية في حين كان عبد الملك يتمتع بالأهلية للحكم نظراً لما عُرف عنه من السجايا الحميدة والخبرة بأمور الحكم، ويمكن الإشارة إلى عامل رابع أسهم في استجابة العثمانيين، هو هدوء الأحوال في أوروبا تجاههم، نتيجة انشغال اسبانيا بالشأن الداخلي والأوروبي.

إن المساندة العثمانية جاءت بعد أن تعهد الشقيقان بموجب اتفاق عقد في شباط ١٥٧٦م مع السلطان العثماني مراد الثالث (١٢ كانون الأول ١٥٧٤م - ١٩ كانون الثاني ١٥٩٥م) بدفع مبلغ قدره (٥٠٠) ألف دينار ذهبي والالتزام بعقد تحالف مع العثمانيين لمهاجمة الإسبان والالتزام بالتخلي عن ميناء العرائش لوالي الجزائر من اجل اتخاذه قاعدة لانطلاق العمليات البحرية العثمانية في المحيط الأطلسي؛ وكان ذلك تكتيكا مرحليا اقتضته الظروف لتسلم الحكم، فتم تزويدهم بقوات بحرية تضم (٧٠٠٠) جندي بقيادة والي الجزائر رمضان باشا(١٥٧٤-١٥٧٧)، وبرية تضم (٧٧٠٠) جندي، فأصبح المجموع (١٤٧٠٠) جندي، وانضم لهم الفاسيون المؤيدون لهم، فبلغ العدد نحو (٢٠٠٠٠) جندي، مزودين بالذخائر والمدفعية والمؤن<sup>(١٧)</sup>.

استطاعت الحملة من هزيمة قوات محمد المتوكل في واقعة الركن بالقرب من فاس، ثم دخلت المدينة في ٣١ آذار ١٥٧٦م، ويعود سبب ذلك إلى انضمام قادة جيش المتوكل، إلى صفوف الحملة، نتيجة لمراسلات سابقة مع عبد الملك، فهرب محمد المتوكل من ساحة المعركة، و رغب عبد الملك بالاستمرار في ملاحقته، لكن العثمانيين طالبوه بأن يدفع بما ذمته لهم فوراً، فتقاضوها ثم غادروا فاس بعد ذلك<sup>(١٨)</sup>

شرع السلطان الجديد الذي تلقب بأبي مروان عبد الملك المعتصم بالله السعدي، في ملاحقة ابن شقيقه الهارب، ليلتقي الجانبان في واقعة وادي الريحان، التي استمرت للمدة (١٠-١٢ تموز ١٥٧٦م)، وفي نهايتها نجح، بإلحاق الهزيمة الثانية والنهائية بمحمد المتوكل، ليدخل بعدها إلى مراكش، في حين لجأ المهزوم، إلى سوسة، في محاولة أخيرة منه لحشد أنصاره، لكنه لم يوفق، فلجأ إلى طنجة الخاضعة للاحتلال البرتغالي<sup>(١٩)</sup>.

الاستجابة العثمانية كانت فاصلة في تحول الدولة السعدية من فرع المتوكل ابن محمد الغالب إلى فرع عبد الملك وشقيقه أبو العباس أحمد ابني محمد الشيخ، ما أدى إلى تولي الحكم رجل محنك يتصف بكثير من الخبرات والميزات التي يفتقر إليها خصمه محمد المتوكل.

وكان ذلك مؤثراً في الغزو الأوروبي للمغرب الأقصى وبالتحديد للبرتغاليين، وما كان يُراد به من مشروعات استعمارية يسعى إلى احتلالها، ذلك أن هزيمة محمد المتوكل، ثم طريقته في ترك ساحة المعركة، أكدت قلة كفاءته وخبرته سواء بوصفه سلطاناً أو في المستقبل لدى مواجهته الأطماع الخارجية، إذ إن دخول فاس التي كانت عاصمة الدولة ورمز سيادتها، يمثل نهاية المعركة.

اتخذ عبد الملك المعتصم من مراکش عاصمة له في حين عين أبو العباس احمد والياً على فاس ونواحيها، ومن حُسن حظ الشقيقين أنهما لم ينافس بعضهما بعضاً، كما حدث في السابق، كذلك تمتعا بصفات قيادية وخبرة إدارية وعسكرية لمواجهة التحديات المختلفة القائمة، فساعد احمد أبو العباس شقيقه كوزير وقائد ووالي على فاس لتدعيم الدولة، في حين لم يستجب عبد الملك المعتصم لنصيحة أحد مستشاريه بتنحيته خوفاً من تكرار مآسي الماضي من صراعات الأشقاء المريرة على الحكم، إذ قام أبو العباس أحمد بواجبه خير قيام، ولم ترعجه هذه النصيحة، كما أن عبد الملك المعتصم لم يشك قط في إخلاصه وتفانيه له وللدولة، فالهدف هو التكاتف والعمل المشترك للحفاظ على هيبة الحكم والتصدي لمخططات الأعداء<sup>(٢٠)</sup>.

كان عبد الملك المعتصم، قد ترك ابنه وزوجته في اسطنبول وبقي تابعا للدولة العثمانية طول مدة حكمه، وأجرى إصلاحات كثيرة في فاس، واتخذ من تشكيلات الدولة العثمانية مثلاً يحتذى به في إصلاحاته، بل قلد السلاطين العثمانيين حتى في زيهم، وكان يخرج مثلهم إلى الصلاة في مراسم خاصة، ونظم القصر الذي بناه في فاس على غرار قصر طوب قابي في اسطنبول، واستقدم ضباطا عثمانيين من الجزائر لتنظيم جيشه<sup>(٢١)</sup>.

المرحلة الثانية: الاستعدادات العسكرية والعلاقات السعدية- الأوروبية (١٥٧٦-١٥٧٨م).

بعد استقرار الحكم في المغرب الأقصى، أرسل مراد الثالث رسالتين إلى عبد الملك المعتصم بتاريخ ٩ حزيران ١٥٧٧م، وفيهما يمنّ السلطان العثماني عليه بما أسداه إليه من مساعدة ويعدّه والياً له على المغرب الأقصى، ويطلب إليه أن يظل منتسباً إلى الباب العالي، وأن يُبقي على علاقات حسن الجوار مع والي الجزائر، وأن يتعاونوا في "صد الغزاة الأوروبيين على ديار الإسلام"<sup>(٢٢)</sup>.

اتجه السلطان السعدي الجديد إلى بناء وتحديث الأسطول الحربي لحماية الموانئ وتعقب الأعداء وتنشيط الحركة التجارية، هذا فضلا عن تأسيس قوة عسكرية نظامية ثابتة، متبعاً النظام العثماني في أساليبها وزیها وسلاحها ومراتبها العسكرية، وحقق ذلك في مدة قصيرة جداً<sup>(٢٣)</sup>.

لقد اكتسب عبد الملك المعتصم خبرة واسعة، في أثناء مدة لجوئه الطويلة إلى الدولة العثمانية، إذ أولى اهتماماً خاصاً بالجيش ورفع كفاءته القتالية، فهو أول من أسس جيشاً نظامياً بالمغرب الأقصى، ونجح بضم عدد من الأندلسيين والضباط العثمانيين للاستفادة من خبرتهم العسكرية، لذا حظي بشعبية واسعة بين العامة، مع حرصه الدائم على متابعة أدق التفاصيل من أمور دولته بشكل مباشر، كذلك وضع نواة لأسطول بحري عبر بناء السفن في العرائش وسلا، ما منح حماية للسفن التجارية المغربية، وإمكانية التعرض لسفن الأعداء، الأمر الذي وفر له موارد مالية وفيرة للإنفاق على مشاريعه العسكرية الطموحة لتوطيد حكمه<sup>(٢٤)</sup>.

كانت بداية مسيرة أحداث واقعة وادي المخازن، بوقائعها السياسية والعسكرية، ما بدا في أنظار اسبانيا والبرتغال من انقلاب علاقات الدولة السعدية الخارجية بوصول عبد الملك المعتصم للحكم، فهو على عكس سلفه محمد المتوكل الذي أبقى على علاقات وطيدة مع الدولتين، لذا كان التغيير بداية لتوجه جديد يختلف عن السابق، حتى عن عهد عبدالله الغالب، ثم ضاعف من هذه القناعات السياسية، ما أبداه عبد الملك المعتصم من مواقف معادية للإسبان والبرتغاليين، كذلك زادت مخاوفهم نتيجة روابطه الوثيقة مع العثمانيين، بسبب مدة لجوئه الطويل، ما ترك بصماته على مظاهر حكمه جميعها، كما إن استمرار محمد المتوكل في مقاومته، ولجوئه إلى طلب المساعدة في الشمال، حيث تتمركز القواعد الاسبانية والبرتغالية في مليله

وسبته وطنجة ومعقله الأخير في أصيلة، الذي واصل منه تحركاته لحشد التأييد الداخلي والخارجي لمطالبه في استعادة الحكم، كل هذه العوامل مُجمعة كانت حائلاً دون عودة التوازن السياسي إلى علاقات الدولة السعودية الخارجية، بما يعني قطع العلاقات الخاصة مع العثمانيين، على وفق قناعة الأوروبيين ذلك ما أدى إلى اتخاذ الأطراف المختلفة مواقف بذاتها، أفضت في النهاية إلى الصدام العسكري<sup>(٢٥)</sup>.

إلى جانب الدوافع السياسية-العسكرية يبرز الجانب الاقتصادي، إذ سعى عبد الملك المعتصم إلى توثيق علاقاته في هذا المجال مع انكلترا وفرنسا، فاستقبلت فاس سفيري البلدين في عام ١٥٧٧<sup>(٢٦)</sup>، لذا لم يكن البرتغاليون قادرين على تجاهل التهديد الجديد لخطوط المواصلات البحرية التي كانت تربط التجارة الآسيوية وتجارة عبيد أفريقيا وتجارة سكر البرازيل الناميتين بلشبونة<sup>(٢٧)</sup>، وقد شرح جوزمان دي سيلفا Gozman de Silva، سفير اسبانيا في البندقية، كل ذلك للملك الاسباني فيليب الثاني Philip II (١٥٥٦-١٥٩٨م)، برسالته المؤرخة في ٢٣ آيار ١٥٧٦م، بالقول: "إن البنادقة سيرتاحون لاحتلال العثمانيين لمراكش، بحكم أن ذلك سيوفر للملاحة الإسلامية قاعدة تمكنها من مهاجمة تجارة إيبيريا الأطلنطية وبالتالي تمكن البندقية-والطريق التجاري المار بشرقي البحر المتوسط- من استعادة وضعها الهام"<sup>(٢٨)</sup>.

ضمن هذا السياق يورد أحد المؤلفين المغاربة وجهة نظر جديرة بالاهتمام مفادها: "إن هذا السلطان (عبد الملك المعتصم) رأى مملكة الترك ورأى منافع البحر فأول ما أمر بإنشاء السفن، وإذا كملت له العمارة يقطع إلى بلادنا مع أهل الأندلس وهم أقرب إليه من غيرهم في الرأي والتدبير، ولا يشتغل إلا بنا ونحن ندبر على ملكنا قبل أن يصلح سلطانه ويتمكن من أمره. وأول التدبير عندنا أن تخرجوا وتحتوا وتمكنوا بالسواحل وتقاتلوا في بلاده وأرضه، فاجتمع الرأي على ما ذكر

وقالوا للمولاي محمد (المتوكل) نحن خارجون وأنت معنا، فإن ظفرنا بالبلاد فلا قسم لنا معك فيها إلا السواحل وما دونها فهو لك. فأنعّم لهم بذلك وتعاهدوا عليه<sup>(٢٩)</sup>. إن لجوء محمد المتوكل للبرتغال، لطلب العون، واصفاً الحال في المغرب الأقصى على غير حقيقته، والادعاء بامتلاكه أنصارا كثيرين به، ثم التزامه بمنح البرتغاليين كل الشواطئ في حين سيكتفي بحكم الدواخل، كلها أمور لم تكن على الإطلاق لتحظى بالقبول بين العامة، فعندما كتب لعلماء المسلمين في فاس يطلب الدعم، جاءه الرد بالرفض المطلق مع التحذير من العواقب الوخيمة، في رسالة طويلة ومفصلة، كانت خاتمتها ”...“، وقد قاتلت وأنت في وسط المسلمين في بضع عشرة معركة لم تنتصر لك فيها راية، فأى نحس وشؤم حلا بديار الروم، فإن جلبتهم فإله لك ولهم بالمرصاد، ارجع إلى الله أيها المسكين، وتب إليه فإنه يقبل التوبة عن عباده في كل وقت وحين، ودع عنك كلام من لا ينهضك حاله، ولا يدلّك على الله مقاله، وهذه نصيحة أن وافقت عليها، وموعظة إن وفقت إليها، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وهو نعم المولى ونعم النصير، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والسلام“<sup>(٣٠)</sup>.

في هذه الأثناء كان سياستيان الأول Sebastian I (١٥٥٧-١٥٧٨ م) ملك البرتغال الشاب، يستعد للحملة ضد المغرب الأقصى، وهو الذي نشأ في بلاط سادته جو مفعم بالمشاعر الدينية وتأثر بمعلميه اليسوعيين، ما أفضى به لتبني سياسة متشددة ضد البروتستانت والمسلمين، على الرغم من معارضة قادة جيشه ونصيحة خاله فيليب الثاني، الذي راسله محمد المتوكل في البدء، لكنه تجاهل مدى العون إليه، لانشغاله في الحروب الداخلية ضد مسلمي إسبانيا، إضافة للجبهات الأوروبية الأخرى<sup>(٣١)</sup>.

هنا تبدأ معركة وادي المخازن بداية غير واضحة المعالم، هل كان البرتغاليون يفكرون ويستعدون إلى احتلال جزء من المغرب الأقصى، وميناء العرائش بوابة هذا

الجزء، أو أن ما قام به محمد المتوكل، هو ما شجع الملك البرتغالي الشاب المتعصب، على التفكير باحتلال العرائش مقدمة لاحتلال شامل.

مهما يكن فإن المخطط، الذي وضعه البرتغاليون من قبل وهم يحتلون الموانئ حتى أغادير على عهد الوطاسيين، ثم وهم يطردون من أغلبها على عهد السعديين، قد تجدد في فكر سياستيان، وأراد أن تحقق مملكته أكثر مما حققه سابقوه وأخفقوا في إكماله وأن يجعل من شخصه ملكاً متعصباً، قائداً للمعركة ضد المسلمين، ومن المؤكد أن تحالف محمد المتوكل معه وتحريضه على القيام بمعركة للقضاء على حكم عمه، ووعده بان تكون له السيطرة على الموانئ المغربية جميعها، وفي مقدمتها العرائش التي كانت تُعد أهم ميناء مغربي على المحيط الأطلسي؛ زاد من حماس سياستيان لكن لم يكن هو السبب الرئيس في اتخاذ القرار بشن الحملة؛ إذ يجب أن نشير إلى أن الإسبان والبرتغاليين ما يزالون يعدون المغرب الأقصى مسؤولاً عن تأسيس الحكم العربي الإسلامي في إيبريا (٧١١-١٤٩٢م)، وهم بذلك لم يكتفوا بطرد المسلمين من آخر معاقلمهم في غرناطة عام ١٤٩٢، بعد صراع مرير ونجاحات متوالية منذ استعادة طليطلة أولى الحواضر الإسلامية في ٢٥ أيار ١٠٨٥م، بل أخذوا في مرحلة لاحقة باحتلال الموانئ المغربية، بدءاً من احتلال سبتة عام ١٤١٥م، إذ لا بد لهم لكي يضمنوا عدم عودة المسلمين إلى الأندلس أن يكسروا شوكتهم باحتلال موانئه المطلة على المحيط الأطلسي جميعها ومنها العرائش<sup>(٣٢)</sup>.

كان الملك البرتغالي يسعى لإعداد الحملة منذ مدة، ومع اندلاع الثورات ضد محمد المتوكل والمناداة بإمارة عمه عبد الملك المنفي لدى العثمانيين، بدأ مشروعه لاحتلال ميناء العرائش، بزيارة سبتة وطنجة، في تشرين الثاني ١٥٧٤م مع وعد بتكرار الزيارة في الربيع، وسعى لدى فيليب الثاني لتحذيره من خطر عودة العثمانيين

إلى فاس بدعم من عبد الملك ما سيسمح للأسطول العثماني بالحصول على قواعد ينطلق منها لمهاجمة الموانئ الإسبانية والبرتغالية، فاحتلال العرائش كان سيحول دون ذلك، بل سيتيح السيطرة على طرق الملاحة التجارية في المنطقة، ومع دخول عبد الملك فاس في ٣١ آذار ١٥٧٦م، اتجه السفير البرتغالي في مدريد إلى البلاط يلتمس باسم بلده تقديم عون إضافي من السلاح والمؤن<sup>(٣٣)</sup>.

لكن سياستيان لم يمتلك القوة الكافية لتحقيق طموحاته، فهرع للاتفاق مع فيليب الثاني، وفي ٢٢ كانون الأول ١٥٧٦م تقابلا في مدينة استرامدورا قرب مدريد، وقرر فيليب الثاني مساعدته شريطة الاكتفاء باحتلال العرائش وألا تستمر الحرب أكثر من سنة، وقرر إعطائه (٥٠) سفينة و(٥) آلاف جندي ومشاركته بثلاث النفقات، كما عرض عليه الزواج من ابنته، لكن تم تأجيل هذا الموضوع إلى ما بعد انتهاء الحملة<sup>(٣٤)</sup>.

لم تكن هذه التحركات بخافية على عبد الملك المعتصم، لذا سعى للتقارب مع فيليب الثاني فأرسل إليه رسالة مع حاكم وهران مارتن دييغو Martin Diego، في نيسان ١٥٧٧م تتضمن مشروع معاهدة مغربية إسبانية، إذ بدأ رسالته بالتذكير بأنه يبحث دائماً عن صداقة الملك الإسباني وللدلالة على ذلك ذكره بمراسلته السابقة له، ثم استعرض أهم بنود مشروع المعاهدة التي تنص على إقرار السلم بين البلدين وحرية التجارة لرعاياهما، وعدم مد بعضهم يد المساعدة ضد بعض، ولم تثبت الوثائق التاريخية فيما إذا جرت محاولات لمناقشة مشروع المعاهدة، أو أن الأحداث التي جرت بالمغرب الأقصى من جراء هزيمة محمد المتوكل ولجونه إلى سياستيان الذي استجاب لطلبه قد حال دون ذلك وجعل فيليب الثاني يترث في الرد انتظاراً لما ستؤول إليه الأحداث، وهو ما أثبتته التطورات اللاحقة<sup>(٣٥)</sup>.

كان الهدف العسكري للحملة هو احتلال ميناء العرائش، في حين قرر سياسيتان ألا يكشف عن ذلك، وأن يعلن عن هدف آخر للتمويه مثل الاتجاه نحو ازمور واغادير بذريعة التحالف مع محمد المتوكل أو الذهاب فحسب لتحسين سبته، وفي نيسان ١٥٧٧م اتفق على اختيار لويس دي أتادي Luis de Atide (١٥١٧-١٥٨٠م) قائداً للحملة، لكن فيليب الثاني نصح بتأخير الإعلان عن هدفها أو عدم الإعلان من الأساس، في حين كان رأي سياسيتان أن تتألف القوة الاسبانية المشتركة من (٥٠) سفينة تحمل (٥) آلاف جندي وكميات وافرة من المؤن والذخائر، اعتقاداً منه أن الحملة لن تعدو أن تكون أكثر من رحلة تنم بالتباهي والبهجة.

لكن في أثناء ذلك تناهى إلى سمعه خبر عرض السلام والتحالف الذي أرسله عبد الملك المعتصم الذي كان سخياً في بنوده، لكنه بالرغم من ذلك لم يجد فيه سبباً يدعو إلى الأخذ به للتخلي عن مشروع حملته، وهكذا أصر على المضي قدماً، لكن جاء التأخير لمدة عام كامل بسبب عروض السلام التي قدمها العثمانيون لفيليب الثاني، الذي لم يكن ليشرع بالحملة من دون مساعدته<sup>(٣٦)</sup>.

بالمقابل ساد في أوساط الرأي العام البرتغالي تياران، أحدهما تيار متطرف متحمس لمشروع الحملة، وآخر معارض يتزعمه عمه الكاردينال هنري Cardinal Henry (١٥١٢-١٥٨٠م) الذي كان لا يثق بمحمد المتوكل ويعتقد أن الصراع مع عمه صراع ظاهري وأن عروض التحالف لا تعدو أن تكون مجرد فخ للإيقاع بالملك والجيش البرتغالي<sup>(٣٧)</sup>، ومع تعيين لويس دي سلفا Luis de Silva في نيسان ١٥٧٧م سفيراً للبرتغال في اسبانيا، بدأت مرحلة من المراسلات بين الطرفين، كان موضوعها الرئيس هو تنفيذ وعد فيليب الثاني، وبلغ عدد هذه المراسلات ثمان وعشرين رسالة، من المدة (١١ نيسان ١٥٧٧م - ٢٧ آيار ١٥٧٨م)، تباحث

فيها الملكان بشأن نقاط تعلقت بعدد فرق الحملة وقيادتها والأماكن التي ستقبل إليها المؤن اللازمة، على الرغم من شكوى الملك البرتغالي من الانتظار طويلاً قبل الاتفاق النهائي على تلك النقاط، فقد التزم فيليب الثاني بوعد له، ومع نهاية شباط ١٥٧٨ م، أعلن سيباستيان عن تنفيذ حملته المؤجلة، وتولى قيادتها شخصياً، ولم يهتم بالمباحثات التي كانت تجري بين الإسبان والعثمانيين، معتمداً على الوعد الذي بحوزته، لذا ذهبت جهود السفير الإسباني في لشبونة سُدى، عندما أخفق إلى آخر لحظة في إقناعه بجدوى المشاركة في المباحثات، بذريعة "أن المعاهدة على عكس ما هو مفترض تسمح لعبد المالك (عبد الملك المعتصم) باستجلاب العديد من الأتراك إلى المغرب والاستعداد لشن حرب ضروس أكبر من تلك التي يعد هو لها" (٣٨).

إن تمادي ملك البرتغال في خطته الرامية إلى غزو المغرب الأقصى بدعوى مساعدة محمد المتوكل وحرصه على اغتنام هذه الفرصة، جعل فيليب الثاني الذي كان منشغلاً بالشأن الأوروبي يبعث إلى لشبونة عدة سفارات ليحذره من مغبة أعماله ولا ننسى أن عبد الملك المعتصم كان في هذه الآونة قد تقدم بمشروع المعاهدة المغربية- الإسبانية التي ما زالت قيد الدرس في البلاط الإسباني، ومن السفارات التي وجهها فيليب الثاني إلى لشبونة دون خوان دي سلبا Don Juan de Silba ثم دون لويس دي سلبا Don Luis de Silba وبعث إليه أيضاً سفير فوق العادة في آذار ١٥٧٨ م، لكن هذه المحاولات جميعها وما سبقها باءت بالإخفاق لإصرار ملك البرتغال المتعصب الطموح على اغتنام الفرصة الراهنة للتدخل في المغرب الأقصى واستعادة نفوذ البرتغال في تلك البلاد، لتبدأ بذلك مرحلة جديدة في تاريخ المغرب الأقصى وتاريخ الدولة السعدية بشكل خاص (٣٩).

## المبحث الثاني: العمليات العسكرية (٢٥ حزيران - ٤ آب ١٥٧٨ م).

لم يكن عبد الملك المعتصم مستعداً لمعركة من هذا الوزن الثقيل وكان ما يزال يقيم في مراكش، وعندما وصله الخبر، جمع قواته من مراكش وقوات أخيه من فاس، ووافاه كثير من المهاجرين المتطوعين من مختلف أنحاء المغرب الأقصى، ومنهم علماء دين ومثقفون وطلبة متحمسون ومدفوعون بغيرتهم على الوطن وخوفهم من أن يقع للبلاد جميعها ما وقع لطنجة وسبتة والشواطئ التي طرد منها البرتغاليون من قبل<sup>(٤٠)</sup>.

غادرت الحملة لشبونة في ٢٥ حزيران وقدرت «الوثائق الاسبانية» عددها ما بين (١٧-١٨) ألف رجل (حملتهم ٦٠ سفينة من بينها ٥ سفن حربية كبرى)<sup>(٤١)</sup>، واتجهت إلى قادس التي وصلتها في ٢٩ حزيران، ومنها أبحرت إلى طنجة فوصلتها في ٨ تموز، ثم اتجه الجيش البرتغالي إلى أصيلة التي وصلها في ١٢ تموز، وكانوا قد وضعوا أيديهم عليها في تموز ١٥٧٧ م بمساعدة محمد المتوكل الذي التحق بالحملة في طنجة مع نحو (٥٠٠) فارس، وبقي الجيش البرتغالي مدة في أصيلة، أتاحت فرصة للجيش المغربي ليكمل استعداداته، فقد أضع سياستيان الوقت الثمين في مناقشة الطريق الذي يجب أن تسلكه الحملة: هل تحتل العرائش ثم القصر الكبير كما أشار عليه بذلك محمد المتوكل وكبار مستشاريه، أو تتخذ طريق البر؟ وأخيراً استقرت رغبة الملك على أن تكون المعركة برية، «وترجع بعض المراجع ذلك إلى رغبة الملك في استعراض بطولته وفروسيته»<sup>(٤٢)</sup>.

وفي أثناء ذلك حاول عبد الملك المعتصم خداع سياستيان، ونجح بدفعه إلى اتخاذ أولى القرارات الكارثية، إذ أرسل له رسالة مفادها «إن سطوتك قد ظهرت في خروجك من أرضك، وجوازك العدو فإن ثبتت إلى أن نقدم عليك فأنت نصراني حقيقي شجاع. وإلا فأنت..»<sup>(٤٣)</sup>.

يؤكد السفير الاسباني في لشبونة Don Juan de Silba الذي رافق الحملة في رسالة له إلى فيليب الثاني بتاريخ ٢٥ تموز ١٥٧٨م، أن ذلك كان قراراً خاطئاً منذ البداية، إذ "تعرضه مصاعب كبيرة جداً، ذلك في أول معسكر استراحة مخطط للحملة على بعد مرحلتين من أصيلة لا يتوفر أي ماء، وللوصول إلى أول نبع مائي يحتاج الأمر إلى السير بالحملة إلى مساء اليوم التالي- الأمر الذي يحتم على الحملة أن تتوقف للاستراحة من جديد، مما يعني الحاجة إلى مرحلة يومين أو ثلاثة أخرى للوصول إلى القصر الكبير. . . ، وهذا في إجماله يعني أن ترتيبات الوصول بالحملة إلى هدفها المنشود يقتضي خمسة عشر يوماً يمكن للعدو الاستفادة منها"<sup>(٤٤)</sup>.

ضمت الحملة جنوداً لم يتمرنوا على القتال في المغرب، وتتكون من وحدات مختلفة الجنسيات، تنتمي للبرتغال في أغلبها وفيها كذلك الإسبان والألمان والإيطاليون فضلاً عن وحدة عسكرية صغيرة من المغاربة يقودها محمد المتوكل، وكانت خيالة هذا الجيش ضعيفة وتحمل في الوقت نفسه (٣٦) قطعة مدفعية وقافلة كبيرة من العربات غير المعتادة على السير في المسالك المغربية الوعرة، في حين جمع عبد الملك المعتصم جيشاً يضم نحو (٥٠) ألف جندي يعتمد بالأساس على خياله، تحذوه روح الجهاد في سبيل الله<sup>(٤٥)</sup>.

لقد بلغ التطور في صناعة الأسلحة النارية مدى كبيراً في أثناء تلك المدة من حكم الدولة السعدية (١٥٥٧-١٥٧٨م)، إذ تم تنظيم الجيش على النمط العثماني، وتشكيل فرق مسلحة بالبنادق من الجنود العثمانيين السابقين والأندلسيين، واستعان السلطان بصناع الأسلحة الأوروبيين من ذوي الخبرة والكفاءة، الذين استحدثوا أساليب مبتكرة، في صب المدافع، لذا وفي عام ١٥٧٥م كان جيش عبدالله الغالب مجهزاً بنحو

مئة وخمسين مدفعاً من بينها مدافع ذو تسع مواشير (هو الآن بمتحف الجيش في باريس)، وفي عام ١٥٧٨م كان الجيش المتوجه للقتال يحمل (٣٤) مدفعاً، مع (٣) آلاف من المشاة الأندلسيين حملة البنادق وألف من الفرسان الأندلسيين المسلحين بالبنادق<sup>(٤٦)</sup>.

أما عبد الملك المعتصم الذي كانت عيونه تراقب كل تحركات الحملة البرتغالية منذ خروجها من لشبونة يوم ٢٥ حزيران ١٥٧٨م، فقد خرج من مراکش في اليوم التالي وقصد السوس، وربما كان ذلك لإعداد وتجهيز القوات، ثم عاد إلى مراکش وخرج منها ثانيةً باتجاه الشمال حيث عسكر في منطقة الخميس يوم ٣ تموز، وبعد ثلاثة أيام وصل تامسنة فسلا يوم ١٤ تموز، ثم المعمورة بعد يومين، وقد نصب بها بعض قطع المدفعية، كما ورد في أثناء ذلك خبر وصول الحملة البرتغالية إلى أصيلة التي بقيت فيها حتى ٢٨ تموز، ثم سعى ضمن المسار نفسه إلى حشد التأييد الشعبي والديني له في معركته المرتقبة، فنادى منذ البداية بالدعوة إلى الجهاد المقدس لمواجهة الغزو الخارجي، جاعلاً من صفوف المجاهدين في مقدمة جيشه " ولما سمعت جنود الله وأنصاره وحماة دينه من العرب والعجم، حملتهم الغيرة الإسلامية والحماية الإيمانية وتجدد لهم نور الإيمان وأشرق عليهم شعاع لا يقاس، عقد الراية المنصورة بالله وسط جامع المنصور بعد أن ختم عليها أهل الله حملة القرآن مائة ختمة وضجوا عند ذلك بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير والدعاء له وللإسلام بالنصر والتمكين"، وتمرکز الجيش السعودي بسوق الخميس على بعد ١٠ كم جنوبي وادي القصر الكبير<sup>(٤٧)</sup>.

أرسل عبد الملك المعتصم رسالة إلى سيباستيان، يذكره بها "إني جئتكم من مراکش ورحلت لك ست عشرة مرحلة، وأنت لم تدن إلي مرحلة واحدة"، وكان غرضه من ذلك استدراجه للخروج إليه والابتعاد عن قواعد التموين ليسهل القضاء عليه، وهو ما حدث بالفعل<sup>(٤٨)</sup>.

سرعان ما استدرج سيباستيان إلى طريق مسدودة بين نهر لوخوس ووادي المخازن من دون أن ينتبه وهو الذي عُرف بعناده إلا أن ارتفاع الماء في هذا المكان يختلف نتيجة المد والجزر، ليبادر بالهجوم صبيحة ٤ آب ١٥٧٨م، فانتصر في أول الأمر انتصاراً لم يقو على استغلاله لافتقاره إلى ما يكفي من الفرسان؛ وعند ذلك اخذ الجيش المغربي المتفوق عدداً وموقعاً زمام المبادرة وتوغل بين صفوف أعدائه، وحاول الجنود الهاربون اجتياز وادي المخازن نحو العرائش غير أن مستوى النهر كان مرتفعاً نتيجة لحركة المد فغرق أغلبهم ومنهم سيباستيان ومحمد المتوكل أو سقطوا أسرى، أما عبد الملك المعتصم فقد أنهكه المرض، ولكنه تحامل على نفسه للاستمرار ولم يلبث أن فارق الحياة قبل الحسم، فأحاط أبو العباس أحمد الأمر بكتمان شديد حتى النهاية، خوفاً من انهيار المعنويات، لتنجلي الأحداث عن موت الملوك الثلاثة المشاركين بها، لذا تسميها بعض المصادر "واقعة الملوك الثلاثة" (٤٩).

إضافة لما تقدم ذكره، أوردت مصادر أخرى (٥٠) رواية متطابقة مفادها "أن عبد الملك المعتصم قام بإرسال ثلثة من قواته ليلاً لهدم الجسر الوحيد القائم على وادي النهر الذي عبر عليه الأعداء قبل ذلك إلى الضفة الأخرى لقتاله، لكنهم غفلوا عن تأمينه، مما قطع عليهم خط الرجعة"، ذلك ما كان سبباً إضافياً للهزيمة الساحقة.

تميزت الواقعة بسيادة الروح الحماسية على المشاركين فيها، ونسجل هنا مشاركة شيخ الطريقة الجزولية (نسبة إلى الفقيه أبي موسى الجزولي ١١٤٥-١٢١٠م)، المجاهد الشيخ أبو المحاسن يوسف بن محمد الفاسي (١٥٣٠-١٦٠٤م)، الذي كان في مقدمة القوات (٥١) في حين كانت الحملة البرتغالية حملة صليبية حقيقية فقد أسهم إلى جانب البرتغاليين إسبان وإيطاليون وألمان وباركها البابا غريغوريوس الثالث عشر Gregory IX (١٥٧٢-١٥٨٥م) وقدم لها مساعدات مادية ومعنوية وعسكرية، لذا طغى الحماس الديني عليها (٥٢).

وعند تحديد أسباب النصر، يمكن القول إن التشكيل الذي اتخذته الطرفان كان في صالح المدافعين، إذ أمر عبد الملك المعتصم شقيقه أبا العباس أحمد باتخاذ ترتيب على شكل هلال كان هو في وسطه، في حين كانت الخيالة على الجناحين، أما المهاجمون فانتظموا على شكل مربع في مقدمته البرتغاليون، وفي اليمين الألمان وفي اليسار المتطوعون الأسبان والإيطاليون وعلى الجناحين الخيالة وأنصار محمد المتوكل<sup>(٥٣)</sup>.

يضاف لذلك الجانب المعنوي فاستنجد محمد المتوكل بالبرتغاليين، لقي استنكاراً عاماً، لأن السلطان الذي كان بعضهم يعدّه الحاكم الشرعي قد خان البلاد وتحالف مع العدو، كما إنه كان شخصية انهزامية لقي الخسارة في معاركه السابقة جميعها، فلم يصمد طويلاً في أثناء الواقعة.

وعلى العكس مما تقدم ذكره، كانت شخصية عبد الملك المعتصم تتمتع بالذكاء والحنكة، ويتقن عدة لغات منها الإسبانية والبرتغالية والتركية وبعض الفرنسية، كل ذلك جعل منه شخصية متفتحة لوضع ركائز الدولة في تلك المرحلة الحرجة، ونوه بالدور الذي قام به أبو العباس أحمد، وبخاصة في واقعة وادي المخازن، ويعود نجاح الشقيقين إلى عمق رابطة الإخوة بينهما، والى الإدراك الكبير الذي اتسم به فلم يسع للمنافسة على الحكم أو الزعامة، وساعد قبل الواقعة في حشد الجنود وكثير من القبائل والمتطوعين من علماء الدين وطلبتهم، ثم أن تبصره وشجاعته ظهرت عندما توفي شقيقه المريض والواقعة في بدايتها، إذ استطاع كتمان الأمر وقيادة الجيش، مما ساعد على تحقيق النصر الناجز<sup>(٥٤)</sup>.

كان الجيش البرتغالي مزوداً بأسلحة نارية حديثة متفوقاً بالمدفعية لكن تنقصه الخيالة، في حين ارتكب سياسيتان أخطاء قاتلة:

١. لم يستمع إلى نصيحة محمد المتوكل باحتلال تطوان والعرائش كي يستطيع حشد القبائل.

٢. كان تحرك الحملة بطيئاً بسبب كثرة العربات، ووعورة الطرق، مما منح السعديين الفرصة لإكمال استعداداتهم.

٣. نجح عبد الملك المعتصم في استدراجه إلى الداخل مبتعداً عن حماية الأسطول واتخاذ موقعا عسكريا غير ملائم حين اتجه لعبور نهر اللوكوس وأحد روافده ووادي المخازن في منطقة مستنقعات دون أن يأخذ بعين الاعتبار تغير مستوى النهر في حالة المد.

٤. اتخذ الجيش البرتغالي وضعاً قتالياً لا يسمح بالمانورة إذ اعتمد نظام المربعات، وأحاط جناحيه بالعربات وجعل مؤخرته تستند إلى وادي المخازن ومستنقعاته مما يحول دون التراجع.

كان الجيش السعودي، يملك مدفعية أقل وخيالة أكثر واتخذ وضعاً قتالياً ممتازاً فقد انتظم على شكل هلال: الخيالة في الجناحين والمشاة في الوسط تغطيها المدفعية من الخلف، واتخذ مواضع تسهل المناورة والحركة، وساد الحماس الديني والوطني بين صفوفه، ثم دمروا الجسر الوحيد على وادي المخازن قبل الواقعة ليقطعوا خط الرجوع على البرتغاليين<sup>(٥٥)</sup>.

### المبحث الثالث: نتائج واقعة وادي المخازن.

كانت الهزيمة مريرة للبرتغاليين بكل المقاييس، ويكفي القول إنه وصل عدد الأسرى إلى نحو أربعة عشر ألفاً، تم فديتهم بمبلغ كبير من المال، حتى ان بعض المؤرخين يرجع تلقب أبي العباس أحمد الذي خلف شقيقه في الحكم (١٥٧٨-١٦٠٣م) بلقب المنصور «الذهبي» الى هذا الامر، أما جثة سيباستيان فقد أرجعها إلى البرتغال ورفض أن يقبض المال مقابل ذلك<sup>(٥٦)</sup>.

لكن النتيجة الأبرز كانت في البرتغال نفسها، فمع مقتل سيباستيان وأغلب رجال مملكته، لم يبق من العائلة المالكة، إلا عمه الكاردينال هنري الذي تولى الحكم للمدة (١٥٧٨-١٥٨٠م)، ولدى رحيله، انتهز فيليب الثاني الفرصة لضم البرتغال في العام نفسه، وجمع الدولتين تحت تاجه، فكان بذلك نهاية عهد حكم أسرة آفيس Avis (١٣٨٥-١٥٨٠م) في البرتغال<sup>(٥٧)</sup>.

أما بالنسبة للمغرب فيمكن أجمال نتائج الواقعة فيما يأتي:

١. أعاد انتصار الشعب المغربي، ثقته بنفسه وبقدرته على القضاء على المطامع الاستعمارية التوسعية التي تعرضت لها بلاده منذ أن استولت البرتغال على سبتة عام ١٤١٥م.

٢. أتاح النصر الساحق فرصة الاستقرار والازدهار للمغرب الأقصى والتفرغ للبناء والتعمير.

٣. من الناحية الاقتصادية تدفقت على المغرب الأقصى الأموال البرتغالية التي دُفعت لافتداء الأسرى كما ازدهرت التجارة وتسابقت الدول الأوروبية على ذلك.

٤. ترتب على الاستقرار، والاعتزاز بالنصر أن ازدهرت الحركة الفكرية والأدبية فبرز كتاب وشعراء وأدباء، من أمثال عبد العزيز القشتالي (١٥٤٩-١٦٢١م) وابن القاضي (١٥٥٣-١٦١٦م) والمقري (١٥٧٨-١٦٣٢م) وغيرهم.

٥. دعم النصر نفوذ السعديين في المغرب الأقصى وفرض احترامهم سواء في العالم الإسلامي أم في أوروبا، فأصبحت لهم شخصية بارزة في العالم كله، وقد كان أول ما قام به السلطان احمد المنصور إثر بيعته أن كتب للملوك الإسلام ينبئهم بهذا الفتح المين، وتقاطرت الوفود من الإرجاء جميعها تحمل الهدايا وتقدم التهاني، ومن بينها هدية من مراد الثالث، ولاشك أن هذا النصر جعل العثمانيين يصرفون النظر، عن محاولة غزو المغرب الأقصى، الذي كان البلد العربي الوحيد الذي لم يحتلوه، وازدهمت عاصمة السعديين بالوفود الأوروبية، ومنها وفد من اسبانيا، وآخر من فرنسا، وسفراء انكلترا، في تسابق حثيث لد أواصر الصداقة التعاون.

والحقيقة أن واقعة وادي المخازن انسحبت آثارها على العلاقات الدولية الأوروبية بشكل أكثر مما هو متوقع كمعركة محلية، فقد تغيرت نظرة الدول الأوروبية كلها للمغرب الأقصى، بل جعلتها وهي التي كانت تندفع بحماس إلى المشاركة في حملات صليبية، إلى أن تُعيد النظر قبل أن تُقدم على تكرار ذلك، لذا فتحت واقعة وادي المخازن صفحة جديدة من الحوار والتعايش السلمي بين المغرب الأقصى وأوروبا،<sup>(٥٨)</sup>.

## الخاتمة.

لقد تحكمت الجغرافيا التاريخية، في تحديد نمط الصلات بين المغرب الأقصى، والدول التي تعاقبت على آبيريا، لكنها بالإجمال كانت صلات وطيدة موغلة في التاريخ، وعلى مختلف الصُّعد، من جراء القرب المكاني في حين حظي الجانب السياسي بالأولوية، كما هو متبع، ثم تبتعه الجوانب الأخرى.

لكن الزخم الأكبر جاء إبان الحكم العربي الإسلامي في الأندلس (٧١١-١٤٩٢م)، ما شكل بداية لصراع مرير، الأمر الذي استمر حتى عقب طرد المسلمين من الأندلس، مدفوع بعوامل الثأر لدى الجانبين، جراء ما تعرض له المسلمون من اضطهاد منتظم، أوجع المشاعر الدينية لدى الطرفين، ليتخذ الصراع العسكري نمط الكر والفر، فتولدت لدى حكام اسبانيا والبرتغال الرغبة بالحفاظ على بلدانهم، من طريق استهداف قواعد المجاهدين على الضفة الأخرى، إضافة إلى الرغبة بالتوسع والبحث عن السيطرة على الموانئ التي كانت قواعد عسكرية ومحطات مهمة للتبادل التجاري.

سبقت البرتغال جارتها اسبانيا في هذا السياق، باحتلالها سبتة عام ١٤١٥م، وأعقبها بموانئ أخرى في المغرب الأقصى، لكن الزخم توقف عام ١٥١٤م، إلى أن تولى الملك المتعصب سيباستيان الأول العرش في البرتغال عام ١٥٥٧م، فسعى بإصرار إلى إعادة النفوذ البرتغالي المتداعي في المغرب الأقصى، من دون تخطيط سابق أو محاولة النظر في العواقب.

ترافق مع ذلك وصول الأسرة السعدية إلى الحكم في المغرب الأقصى عام ١٥٥٤م، الأمر الذي أثار سخط العثمانيين، لكونه البلد العربي الوحيد الذي لم ينجحوا باحتلاله، لكنهم وعقب عدة إخفاقات عسكرية، أدركوا استحالة ذلك،

ليتحولوا إلى التحالف مع السعديين ضد العدو الأوروبي المشترك، فتعاونوا معهم في تأسيس جيش نظامي مزود بالأسلحة النارية.

اقتربت الحملة البرتغالية بالصراع الداخلي بين السلطان المخلوع محمد المتوكل، وعمه عبد الملك المعتصم، ومع تحالف الأول مع البرتغاليين لاستعادة الحكم، أدرك سياستيان أن الفرصة مواتية له، لضم المغرب الأقصى، متجاهلا جميع التحذيرات التي وجهت إليه من أن مشروعه التوسعي سيواجه بالإخفاق الذريع.

لقد حظي عبد الملك المعتصم بالتأييد الشعبي الكبير، في حين واجه خصمه مشاعر العداوة نتيجة تحالفه مع المحتلين، لذا خسر القاعدة الشعبية، وزاد من تأزم الموقف، إصرار سياستيان على الزحف المتعجل لمواجهة الجيش السعدي، من دون السعي لاحتلال عدد من المواقع والموانئ الاستراتيجية، لتكون قواعد للدعم والتموين، ولإضعاف السعديين، لذا اندفع بتهور نحو ساحة المعركة.

كانت نتائج المعركة كارثية بجميع المقاييس، فقد شكلت نهاية التوسع البرتغالي، كذلك خسر المتوكل وسياستيان حياتهما، ومُنيت الحملة بخسائر فادحة في الجنود والتجهيزات العسكرية، وامتدت تأثيراتها إلى البرتغال نفسها، حيث أسهمت في القضاء على حكم الأسرة الحاكمة فيها، ثم خسارة استقلالها في مرحلة لاحقة بضمها إلى الإمبراطورية الإسبانية، في حين أدت المعركة إلى الحفاظ على استقلال المغرب في وجه الأطماع الخارجية، ورسخت حكم الأسرة السعدية

## هوامش البحث:

(١) فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي (دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصراً)، ط ١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، نيسان ٢٠٠٧، ص ٦٠٠. للتفاصيل ينظر: محمد خليل إبراهيم عباس القيسي، المغرب دراسة في الأحوال العامة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد)، ٢٠١٨.

(٢) ينتسب السعديون الى ذرية محمد ذي النفس الزكية بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب، المتوفى عام ٧٦٢ في المدينة المنورة، فهم ينحدرون من طبقة الأشراف، ما جعلهم يتمتعون بنفوذ ديني كبير بين السكان. للتفاصيل ينظر: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، الجزء الخامس، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٩٧م، ص ٣-٦.

(٣) بدأ البرتغاليون حملتهم ضد موانئ المغرب الاقصى باحتلال ميناء سبتة بتاريخ ١٤١٥/٨/٢٤م، ليعقبها احتلال عدد من الموانئ، وعلى مراحل مختلفة، من أهمها ( القصر الصغير ١٤٦٨م، طنجة وأصيلة ١٤٧١م، آسفي ١٤٨٨م، أغادير ١٥٠٥، أزموور ١٥١٣م). للتفاصيل ينظر: الاستاذ الدكتور محمود علي عامر، الاستاذ الدكتور محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الاقصى - لبيبة)، جامعة دمشق، د. ت، ص ٢٣-٢٨.

(٤) أحمد سالم سالم علي، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن السادس عشر، اسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠١١، ص ١٦٧.

(٥) للتفاصيل عن جهود محمد القائم وولديه (١٥٠٩-١٥٥٧م)، في بناء الدولة ومحاربة البرتغاليين ينظر: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص ٦-٣٧؛ عبدالله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ط ٢، المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي المغربي، ٢٠٠٩، ص ٤٥٣-٤٥٨.

(٦) محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ط ١، تونس، دار الكتب الشرفية، ١٩٥٤م، ص ١٩٩.

(٧) للتفاصيل عن الصراع الوطاسي - السعدي ينظر: الدكتور عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ط ٣، المملكة المغربية، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، ٢٠٠٦، ص ٣٧-٧٣.

(٨) شارل أندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، ج ٢، ط ٣، تعريب محمد مزالي، البشير بو سلامة، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٣، ص ٢٦٧. للتفاصيل عن الدولة السعدية ينظر: د. صلاح العقاد، المغرب العربي الحديث في التاريخ الحديث والمعاصر، ط ٦، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٣، ص ٥٠-٦٢.

- (٩) فاضل بيات، المصدر السابق، ص ٦٠٢.
- (١٠) للتفاصيل ينظر: عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ط ١، ج ٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٦م، ص ٣٠٠-٣٠٥.
- (١١) للتفاصيل عن مدة حكم عبدالله الغالب ينظر: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص ٣٧-٥٧.
- (١٢) محمد علي داهش، الدولة العثمانية والمغرب العربي (اشكالية الصراع والتحالف)، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١١، ص ٣٧-٤١. للتفاصيل ينظر: د. فاضل بيات، المصدر السابق، ص ٦٠٢-٦٠٧.
- (١٣) للتفاصيل عن مدة حكمه ينظر: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص ٥٧-٥٨.
- (١٤) دكتور شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب)، ط ١، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٧م، ص ١٧٤.
- (١٥) اندرو هيس، أفتراق العالمين الإسلامي والمسيحي في المغرب والأندلس، ترجمة د. احمد عبد الرحيم مصطفى، الكويت، منشورات ذات السلاسل، ١٩٨٦م، ص ١٤٣-١٤٥.
- (١٦) عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص ٣٠٤-٣٠٥. للتفاصيل ينظر: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص ٦١-٦٣.
- (١٧) محمد علي داهش، المصدر السابق، ص ٤٥-٤٧.
- (١٨). الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص ٦٤.
- (١٩). المصدر نفسه، ص ٦٤-٦٥.
- (٢٠) عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص ٣٠٥-٣٠٦.
- (٢١) فاضل بيات، المصدر السابق، ص ٦٠٧. للتفاصيل ينظر: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص ٦٥-٦٨.
- (٢٢) محمد علي داهش، المصدر السابق، ص ٤٧.
- (٢٣) دكتور شوقي عطا الله الجمل، المصدر السابق، ص ١٧٦. اعتمدت الدول التي قامت في المغرب العربي في الأساس على القوات غير النظامية التي لا تمتلك الاسلحة النارية الحديثة، حتى نهاية القرن السادس عشر، ما أدى الى الحاق الهزائم المتتالية بها من جيوش الدول الاوربية. للتفاصيل ينظر: أندرو هيس، افتراق العالمين الإسلامي والمسيحي في المغرب والأندلس، ط ١، ترجمة د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، الكويت، منشورات ذات السلاسل، ١٩٨٦، ص ٣٨-٤٣.

- (٢٤) مجهول، تاريخ الدولة السعودية التكمدرتية، ط١، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، مراكش، عيون المقالات، ١٩٩٤، ص ٥٣.
- (٢٥) د. ابراهيم شحاته حسن، وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب ٩٨٦هـ، ١٥٧٨م، ط١، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٩٧٩، ص ١٧٠-١٧١.
- (٢٦). للتفاصيل ينظر: الدكتور عبد الكريم كريم، المصدر السابق، ص ٩٩-١٠١.
- (٢٧) للتفاصيل ينظر: الدكتور عبد العزيز سليمان نوار، الدكتور محمود محمد جمال الدين، التاريخ الاوروي الحديث من عصر النهضة الى نهاية الحرب العالمية الأولى، مدينة نصر، دار الفكر العربي، ١٩٩٩، ص ٥٤-٦٤.
- (٢٨) أندرو هيس، المصدر السابق، ص ١٤٧-١٤٨.
- (٢٩) مجهول، المصدر السابق، ص ٥٨.
- (٣٠) الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص ٧٨.
- (٣١) شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص ٢٧٠. واجه فيليب الثاني ثورة البشارت في الاندلس (١٥٦٨-١٥٧١م)، كذلك تمرد البروتستانت ضده في الولايات الالمانية والأراضي المنخفضة الذي حظي بدعم انكلترا. للتفاصيل ينظر: أندرو هيس، المصدر السابق، ص ١٣٦-١٤٦.
- (٣٢) عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص ٣٠٦-٣٠٧.
- (٣٣) ابراهيم شحاته حسن، المصدر السابق، ص ٢٠٥-٢٠٦.
- (٣٤) عزيز سامح الترو، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ط١، ترجمة د. محمود علي عامر، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٩، ص ٢٥٥-٢٥٦.
- (٣٥) الدكتور عبد الكريم كريم، المصدر السابق، ص ١٠١.
- (٣٦) ابراهيم شحاته حسن، المصدر السابق، ص ٢٠٨-٢١٠. للتفاصيل عن المباحثات الإسبانية- العثمانية. ينظر: أندرو هيس، المصدر السابق، ص ١٤٨-١٤٩.
- (٣٧) الاستاذ الدكتور محمود علي عامر، الاستاذ الدكتور محمد خير فارس، المصدر السابق، ص ٥٤.
- (٣٨) ابراهيم شحاته حسن، المصدر السابق، ص ٢١٢.
- (٣٩) الدكتور عبد الكريم كريم، المصدر السابق، ص ١٠٣.
- (٤٠) عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص ٣٠٧.
- (٤١) ابراهيم شحاته حسن، المصدر السابق، ص ٢١٢-٢١٣.
- (٤٢) دكتور شوقي عطا الله الجمل، المصدر السابق، ص ١٧٨.
- (٤٣) الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص ٧٩.

- (٤٤). ابراهيم شحاته حسن، المصدر السابق، ص ٢١٣-٢١٤.
- (٤٥) شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص ٢٧٠.
- (٤٦) كولان، البارود عند المسلمين، ط ١، لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية (ابراهيم خورشيد، د. عبد الحميد يونس، د. حسن عثمان)، كتب دائرة المعارف الاسلامية (١٤)، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٤، ص ٢٩-٣٠.
- (٤٧) الدكتور عبد الكريم كريم، المصدر السابق، ص ١٠٤-١٠٥.
- (٤٨) مجهول، المصدر السابق، ص ٦٠.
- (٤٩) شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص ٢٧١.
- (٥٠) مجهول، المصدر السابق، ص ٦٠؛ د. ابراهيم شحاته حسن، المصدر السابق، ص ٢١٨؛ عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص ٣٠٨؛ دكتور شوقي عطا الله الجمل، المصدر السابق، ص ١٧٨.
- (٥١) الدكتور شوقي أبو خليل، وادي المخازن، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٨، ص ٧٢-٧٣.
- (٥٢) الاستاذ الدكتور محمود علي عامر، الاستاذ الدكتور محمد خير فارس، المصدر السابق، ص ٥٤.
- (٥٣) دكتور شوقي عطا الله الجمل، المصدر السابق، ص ١٧٨-١٧٩.
- (٥٤) عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص ٣١٠-٣١١. للتفاصيل ينظر: الدكتور شوقي أبو خليل، المصدر السابق، ص ٩١-١٠٣.
- (٥٥) الاستاذ الدكتور محمود علي عامر، الاستاذ الدكتور محمد خير فارس، المصدر السابق، ص ٥٤ للتفاصيل ينظر: الدكتور شوقي أبو خليل، المصدر السابق، ص ٧٢-٧٥.
- (٥٦) دكتور شوقي عطا الله الجمل، المصدر السابق، ص ١٨٠.
- (٥٧) الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص ٨٠. للتفاصيل ينظر: الدكتور شوقي أبو خليل، المصدر السابق، ص ٧٦-٩٠.
- (٥٨) دكتور شوقي عطا الله الجمل، المصدر السابق، ص ١٨٠-١٨٤. للتفاصيل ينظر: د. ابراهيم شحاته حسن، المصدر السابق، ص ٢٣٣-٢٤٥.

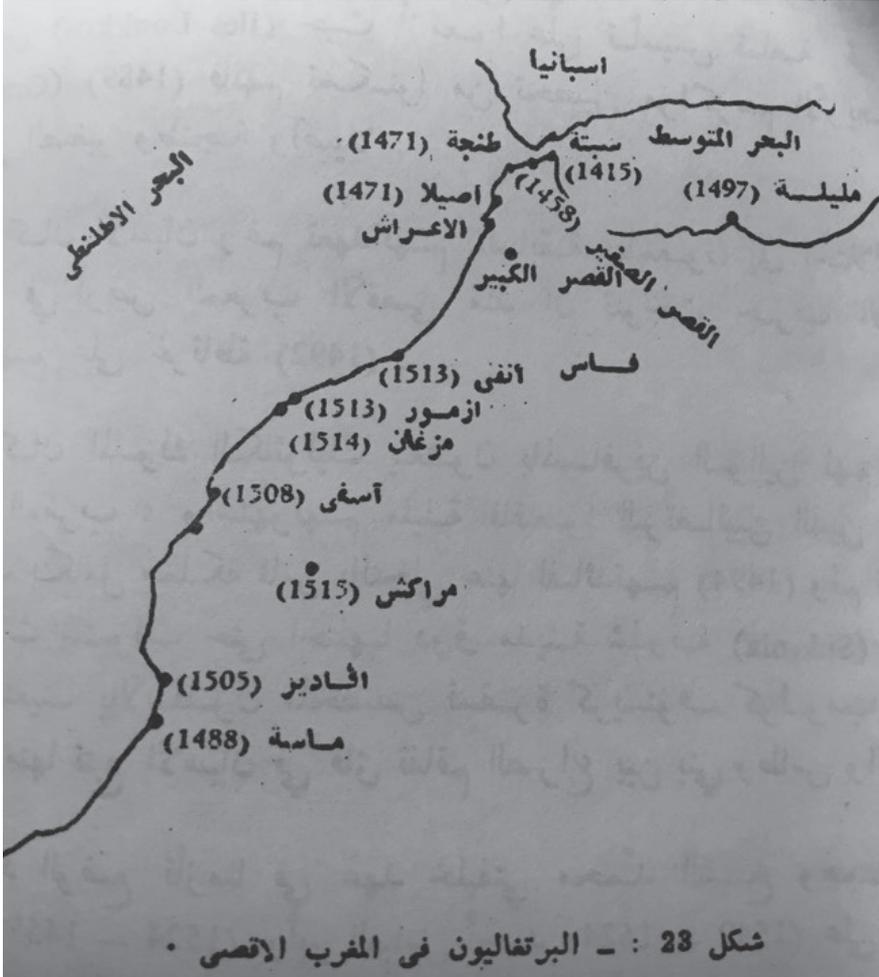
## المصادر والمراجع.

- أ. الرسائل الجامعية
- محمد خليل إبراهيم عباس القيسي، المغرب دراسة في الأحوال العامة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، جامعة بغداد، كلية التربية ( ابن رشد)، ٢٠١٨.
- ب. المصادر العربية والمعرية.
- \*ابراهيم شحاته حسن، وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب ٩٨٦هـ، ١٥٧٨م، ط١، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٩٧٩.
- \*أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، الجزء الخامس، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٩٧.
- \*أحمد سالم سالم علي، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن السادس عشر، اسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠١١.
- \*اندر و هيس، أفتراق العالمين الإسلامي والمسيحي في المغرب والأندلس، ترجمة د. احمد عبد الرحيم مصطفى، الكويت، منشورات ذات السلاسل، ١٩٨٦.
- \*شارل أندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، ج٢، ٣، تعريب محمد مزالي، البشير بو سلامة، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٣.
- \*شوقي أبو خليل، وادي المخازن، ط١، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٨.
- \*شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ( ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب)، ط١، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٧.
- \*صلاح العقاد، المغرب العربي الحديث في التاريخ الحديث والمعاصر، ط٦، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٣.
- \*عبدالله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ط٢، المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي المغربي، ٢٠٠٩.
- \*عبد العزيز سليمان نوار، الدكتور محمود محمد جمال الدين، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى نهاية الحرب العالمية الأولى، مدينة نصر، دار الفكر العربي، ١٩٩٩.
- \*عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ط١، ج٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٦.
- \*عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعودية، ط٣، المملكة المغربية، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، ٢٠٠٦.
- \*عزيز سامح الترو، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ط١، ترجمة د. محمود علي عامر، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٩.
- \*فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي (دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصراً)، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، نيسان ٢٠٠٧.

- \*كولان، البارود عند المسلمين، ط١، لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية (ابراهيم خورشيد، د. عبد الحميد يونس، د. حسن عثمان)، كتب دائرة المعارف الاسلامية (١٤)، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٤.
- \*مجهول، تاريخ الدولة السعودية التكميلية، ط١، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، مراكش، عيون المقالات، ١٩٩٤.
- \*محمد العروسي المطوى، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ط١، تونس، دار الكتب الشرقية، ١٩٥٤.
- \*محمد علي داهش، الدولة العثمانية والمغرب العربي (اشكالية الصراع والتحالف)، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١١.
- \*محمود علي عامر، الاستاذ الدكتور محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى - ليبيا)، جامعة دمشق، د. ت.

ملحق رقم ١ .

التسلسل التاريخي للاحتلال البرتغالي لموانئ المغرب الأقصى (١٤١٥-١٥١٤م)  
المصدر: شارل أندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، ج٢، ط٣، تعريب محمد مزالي، البشير بو  
سلامة، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٣، ص ٢٥٦ .



ملحق رقم ٢.

خط سير حملة سيباستيان نحو وادي المخازن خلال المدة (١٢ تموز - ٤ آب ١٥٧٨ م).  
المصدر: الدكتور ابراهيم شحاته حسن، وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب ٩٨٦هـ، ١٥٧٨ م،  
ط١، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٩٧٩ م، ص ٣٣٧.

